المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين أما بعد:

فإن مبحث القياس من أشق مباحث الأصول على الأذهان ، لكونه إلحاق للنظير بنظيره مع كثرة وجوه الشبه ، فلا تكاد تبحث في مسائله إلا تمثلت في نفسك قول الله تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً}(١)، ومشقة البحث فيه تتفاوت بين الطالبين كتفاوت قدراتهم الذهنية ، وإن العلة أشق ما فيه ، يعرف هذا من بحثها ، ووقف بنفسه على كثرة الخلاف فيها بين المثبتين للقياس أنفسهم فضلا عن النافين له ، ومن مباحث العلة التي تحتاج إلى وقفةٍ تبصّرُ المبتدي وتذكر المنتهي ، مبحث: مسلك النص في التعليل ، ذلك ان الشرع الحنيف يذكر علل الأحكام تصريحا تارة وتلويحا تارة أخرى ، فأردت أن أضع بين يدي القارئ ما يميز به الفاظ التعليل في نصوص القرآن العظيم والسنة المطهرة من غيرها ، لأنه عسير على غير المتخصص في اللغة والأصول ، وسبب العسرة هو أن الأصل في التعليل أن يكون بالحروف لكونه معنى من المعاني(٢)، ومعاني الحروف كثيرة جدا ، ومتداخلة كما سيراه القارئ في اثناء البحث ، فكان عملي ذا محورين:

الأول: جمعت في كل مبحث مما سيأتي حروف التعليل حسب دلالتها ، من صراحة أو إيماء ، وأتبعت كل واحد منها بالكثير من أمثلة القرآن الكريم ، والسنة المطهرة مقتصرا منها على ما في البخاري ومسلم ، لاشتراطهما إخراج الصحيح ، دون قصد استقصاء الأمثلة ، والفائدة التي ارجوها من هذا هي: أن المثال من باب المفصل ، كما أن القاعدة من باب المجمل ، وكلما زاد التفصيل زاد البيان ، كما قال تعالى:{وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}(٣) ، فجعل سبحانه علة التفصيل إبانة السبيل.

الثاني: رتبت مسلك النص في التعليل ترتيبا أوضح للقارئ من ترتيبه في كتب الأصول ، ذلك لأن حسن الصناعة والترتيب مقصد مهم عند المؤلفين ، يدل على هذا صنيع الامام مسلم بن الحجاج–رحمه الله– صاحب الصحيح الذي لم يزد على ما جاء به البخاري–رحمه الله– شيئا في متن ولا إسناد ، غير أنه رتب صحيحه ترتيبا فاق به البخاري–رحم الله الجميع– وفي هذا قال الناظم:

تنازع قوم في البخاري ومسلم ** لدي وقالوا أي ذين تقدم

فقلت: لقد فاق البخاري صحة ** كما فاق في حسن الصناعة مسلم(١)

وقد جعلت الموضوع في تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: تناولت فيه التعريف بمسلك النص في مطلبين

المبحث الثاني: تناولت فيه النص الصريح في التعليل(أو النص اصطلاحا) في أربعة مطالب.

المبحث الثالث: تناولت فيه النص الصريح في التعليل(أو الظاهر اصطلاحا).

المبحث الرابع: تناولت فيه النص غير الصريح في التعليل(أو ما أومأ إلى التعليل)

الخاتمة: ذكرت فيها أهم نتائج البحث.

وأسال الله تعالى أن ينفعني والقراء بهذا العمل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

تمهيد

بعد أن يتطرق الأصوليون الى بحث العلة من حيث تعريفها وشرائطها ينتقلون الى البحث في مسالكها ، أي الطرق الدالة على كون الوصف علة(١) ، وقد اختلف علماء الأصول في عد هذه

المسالك ، فذكر الرازي أنها عشرة هي: النص، والإيماء، والإجماع، والمناسبة، والتأثير، والدوران، والسبر والتقسيم، والشبه، والطرد، وتنقيح المناط(٢)، وزاد الشوكاني مسلكا آخر هو: تحقيق المناط(٣) ، وحاصل ما ذكروه أن لمسلك النص طريقين:

الأول: طريق النقل ، ويدخل فيه النص من الكتاب أو السنة ، والاجماع.

الثاني: طريق الاستنباط ، ويدخل فيه ما ذكروه من المناسبة، والتأثير، والدوران، والسبر والتقسيم، والشبه، والطرد، وتنقيح المناط ، وقصدي من بحثي هذا هو تسليط الضوء على مسلك النص حصرا.

المبحث الأول

التعريف بمسلك النص

قبل الخوض في تفصيل الموضوع لابد من تبيان كلمتي مسلك ونص ، لذا سأتناولهما في مطلبين:

المطلب الأول

تعريف المسلك

أولا: المسلك لغة: قال ابن فارس: (السين واللام والكاف أصلٌ يدلُّ على نفوذ شيءٍ في شيء ، يقال سلكت الطَّريقَ أَسلُكُه ، وسَلكت الشيء في الشيء: أنفذْته)(١) ، وعليه فهي مصدر ميمي يراد به مكان السلوك ، أي المكان الذي سينفذ منه الاصولي لاستخراج العلة.

ثانيا: المسلك في الاصطلاح: لم اعثر على حدّ له عند أحد من الأصوليين ، ويمكن تعريفه بالقول: طريق استنباط العلة.

المطلب الثاني

تعريف النص

أولا: النص لغة: هو الظهور والارتفاع ، ومنه سميت المنصة بهذا الاسم لارتفاع من عليها على غيره(٢).

ثانيا: النص في الاصطلاح: ويطلق على معان عدة:

الأول: مجرد لفظ الكتاب أو السنة ، كما يقال: الدليل إما نص أو قياس(٣).

الثاني: ما يقابل الايماء(١) ، والايماء هو:(المنطوق غير الصريح ، أو اقتران الوصف بحكم لو لم يكن هو أو نظيره للتعليل لكان ذلك الاقتران بعيدا من فصاحة كلام الشارع)(٢).

الثالث: حكاية اللفظ على صورته ، كما يقال: هذا نص كلام فلان(٣).

الرابع: ما يقابل الظاهر، والظاهر هو:(ما دل على معنى بالوضع الأصلي أو العرفي ويحتمل غيره احتمالا مرجوحا)(٤).

أما حد النص في الاصطلاح فأحسن ما قيل فيه:(هو كل ما أفاد معنى على سبيل القطع مع انحسام التأويل)(٥).

ولا يقصد الاصوليون بالنص في بحثهم(لمسلك النص) المعنى الاصطلاحي الذي ذكرته فقط ، وإنما يريدون كل لفظ في الكتاب أو السنة أفاد التعليل ، ويقصدون بالنص الصريح: النص الدال على العلية بوضعه اللغوي ، وهو الشامل لما كان دالا على العلية فقط – وهو النص الاصطلاحي الذي ذكرته آنفا– ، وما كان محتملا لها ولغيرها–وهو المسمى بالظاهر اصطلاحا–(٦) ، أما الدال على العلية بإيمائه فهو النص غير الصريح.

والمباحث الثلاث الآتية ستوضح المراد:

المبحث الثاني

النص الصريح في التعليل

(أو النص اصطلاحا)

سيكون هذا المبحث مخصصا لما انحصرت دلالته على العلية فقط ، وهذا النوع يرد في الكتاب والسنة بألفاظ هي: (من أجل ، كي ، لكيلا ، إذاً) ، وسأتناولها في أربعة مطالب.

المطلب الأول

التعليل ب(من أجل)

قال صاحب البحر المحيط –رحمه الله– :(واعلم أن التعليل معنى من المعاني وأصله أن تدل عليه الحروف كبقية المعاني ، لكن تدل الأسماء ، والأفعال على الحروف في إفادة المعاني)(١)، و(أجل) اسم من تلك الاسماء ، وهي تدل على معنى التعليل صراحة ، أما أمثلتها فهي:

أولا : من القرآن: ولم يرد لها فيه إلا مثال واحد هو:

١. قال تعالى:{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً}(٢).

ثانيا: من السنة:

١. قال رسول الله(ﷺ):(مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ وَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنْ اللَّهِ)(٣).

٢. قال رسول الله(ﷺ): (إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ)(٤).

٣. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود() قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ)(١).

٤. قال رسول الله(): (إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ)(٢).

٥. قال رسول الله(): (ولا شَخْصَ أَحَبُّ إليه الْعُذْرُ من اللَّهِ من أَجْلِ ذلك بَعَثَ الله الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، ولا شَخْصَ أَحَبُّ إليه الْمِدْحَةُ من اللَّهِ من أَجْلِ ذلك وَعَدَ الله الْجَنَّةَ)(٣).

٦. قال رسول الله():(إنما نَهَيْتُكُمْ من أَجْلِ الدَّافَّةِ التي دَفَّتْ فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا)(٤).

٧. عن أبي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ() قال: (كان رسول اللَّهِ() إذا أُتِيَ بِطَعَامٍ أَكَلَ منه وَبَعَثَ بِفَضْلِهِ إلي وَإِنَّهُ بَعَثَ إلي يَوْمًا بِفَضْلَةٍ لم يَأْكُلْ منها لِأَنَّ فيها ثُومًا فَسَأَلْتُهُ أَحَرَامٌ هو قال: لَا وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ من أَجْلِ رِيحِهِ)(٥).

٨. قال رسول اللَّهِ(): (إذا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فلا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ حتى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ من أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ)(٦).

٩. قال عُمَرُ():(إِنَّا لَا نَدْخُلُ كَنَائِسَكُمْ من أَجْلِ التَّمَاثِيلِ التي فيها الصُّوَرُ)(٧).

١٠. عن أبي مَسْعُودٍ(ﷺ) أَنَّ رَجُلًا قال:(والله يا رَسُولَ اللَّهِ إني لَأَتَأَخَّرُ عن صَلَاةِ الْغَدَاةِ من أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا)(٨).

١١. عن ابن عباس(ﷺ) في وصفه لحجة النبي(ﷺ) قال: (ولم يَحِلَّ من أَجْلِ بُدْنِهِ لِأَنَّهُ قَلَّدَهَا)(١).

١٢. عن بن عُمَرَ(ﷺ) قال:(اسْتَأْذَنَ الْعَبَّاسُ بن عبد الْمُطَّلِبِ(ﷺ) رَسُولَ اللَّهِ(ﷺ) أَنْ يَبِيتَ بِمَكَّةَ لَيَالِيَ مِنًى من أَجْلِ سِقَايَتِهِ فَأَذِنَ له)(٢).

١٣.عن أنس بن مالك(ﷺ)أنه سئل: أَكُنْتُمْ تَكْرَهُونَ الْحِجَامَةَ لِلصَّائِمِ قال:(لَا إلا من أَجْلِ الضَّعْفِ)(٣).

١٤. عن سهل بن سعد(ﷺ) قال: فَكُنَّا نَفْرَحُ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ من أَجْلِ ذلك(٤).

١٥.عن عمر(ﷺ) قال:(فَاعْتَزَلَ النبي(ﷺ) من أَجْلِ ذلك الحديث حين أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إلى عَائِشَةَ)(٥).

١٦. عن عائشة(ﷺ) قالت:(فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا ما رَغِبُوا في مَالِهَا وَجَمَالِهَا من يَتَامَى النِّسَاءِ إلا بِالْقِسْطِ من أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ)(٦).

١٧. عن عائشة(ﷺ) قالت: فقال رسول اللَّه(ﷺ): (هو لك يا عبد بن زَمْعَةَ من أَجْلِ أَنَّهُ وُلِدَ على فِرَاشِ أبيه)(٧).

١٨. عن أنس(ﷺ) قال:(كان أبو طَلْحَةَ لَا يَصُومُ على عَهْدِ النبي(ﷺ) من أَجْلِ الْغَزْوِ)(٨).

١٩. عن أبي هريرة(ﷺ) قال: (وَيَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَوْمُ النَّحْرِ وَإِنَّمَا قِيلَ الْأَكْبَرُ من أَجْلِ قَوْلِ الناس الْحَجُّ الْأَصْغَرُ)(٩).

٢٠. عن أم رومان(ﷺ) في قصة الافك أن رسول الله(ﷺ) سألها: (ما لِهَذِهِ قلت: حُمَّى أَخَذَتْهَا من أَجْلِ حَدِيثٍ تُحُدِّثَ بِهِ)(١٠).

المطلب الثاني

التعليل بحرف(كي)

ذكر صاحب الاتقان في علوم القرآن–رحمه الله– وهو يتكلم عن معاني الأدوات التي يحتاجها المفسر، والتي يختلف الكلام والاستنباط بحسبها أن (كي) لها معنيان ، الأول منهما هو التعليل(١)، والثاني سأذكره عند الكلام عن (لكي) ، أما أمثلتها.

أولا: من القرآن:

١. قال تعالى:{فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ}(٢).

٢. قال تعالى:{مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ}(٣).

ثانيا: من السنة:

١. قال رسول الله(ﷺ): (أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ الناس ، من غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)(٤).

٢. قال رسول الله(ﷺ):(أَمْهِلُوا حتى نَدْخُلَ لَيْلًا أَيْ عِشَاءً كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ)(٥).

٣. عن أبي هريرة(ﷺ) قال:(وَإِنْ كنت لأستقرئ الرَّجُلَ الْآيَةَ هِيَ مَعِي كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي)(٦).

٤. عن انس(ﷺ) في قصة زواج النبي(ﷺ) من زينب بنت جحش(ﷺ) قال: (وبقى منهم رَهْطٌ عِنْدَ رسول اللَّهِ(ﷺ) فَأَطَالُوا الْمُكْثَ فَقَامَ رسول اللَّه(ﷺ) فَخَرَجَ وَخَرَجْتُ معه كَيْ يَخْرُجُوا)(١).

٥. عن عائشة(ﷺ) قالت: (وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حتى حَزِنَ النبي(ﷺ) فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا منه مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى من رؤوس شَوَاهِقِ الْجِبَالِ)(٢).

٦. عن ابن عباس(ﷺ) في قصة جمع النبي(ﷺ) الصلاة في المدينة قيل له: لِمَ فَعَلَ ذلك قال: (كَيْ لَا يُحْرِجَ أُمَّتَهُ)(٣).

٧. عن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ(ﷺ): (أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِأَسْهُمٍ في الْمَسْجِدِ قد أَبْدَى نُصُولَهَا فَأُمِرَ أَنْ يَأْخُذَ بِنُصُولِهَا كَيْ لَا يَخْدِشَ مُسْلِمًا)(٤).

المطلب الثالث

التعليل ب(لكي)

والفرق بينها وبين(كي) أن كي اذا دخل عليها اللام تكون مصدرية والتعليل يكون باللام لا بها حتى لا يتوالى حرفا تعليل(٥) ، لكن اللام تصبح نصا في التعليل ، فيسمونها لام المفعول من أجله كما سيأتي في بحث اللامات، وامثلتها

أولا: من القرآن:

١. قال تعالى:{إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}(٦).

٢. قال تعالى:{وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً}(١)

٣. قال تعالى:{فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ}(٢).

٤. قال تعالى:{قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً}(٣).

٥. قال تعالى:{ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}(٤).

٦. عن جابر بن عبدالله() في قصة دين أبيه أنه قال للنبي():(فَانْطَلِقْ مَعِي لِكَيْ لَا يُفْحِشَ عَلَيَّ الْغُرَمَاءُ)(٥).

٧. عن كعب بن مالك() في قصة تخلفه عن غزوة تبوك قال: (فَطَفِقْتُ اغدو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ)(٦).

٨. عن ام سلمة(ﷺ) أن رسول الله(ﷺ) قال: (من يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ)(٧).

٩. عن عَائِشَةَ(ﷺ) قالت: (والله لقد رأيت رَسُولَ اللَّهِ(ﷺ) يَقُومُ على بَابِ حُجْرَتِي وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ في مَسْجِدِ رسول اللَّهِ(ﷺ) يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ لِكَيْ أَنْظُرَ إلى لَعِبِهِمْ)(٨).

المطلب الرابع

التعليل ب (إذن)

وهي حرف جواب وجزاء ، تربط الجملة بالتي قبلها على جهة التعليل(١)، وقد اختلف العلماء في كتابتها بالنون أو بالألف(٢) ، وخلافهم في غير القرآن ، أما القرآن الكريم فقد رسمت فيه بالألف ، ورسمه مقصور عليه. وأمثلتها:

أولا: من القرآن:

١.قال تعالى:{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً}(٣).

٢.قال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ}(٤)

٣. قال تعالى: {وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنَّا إِذاً لَّمِنَ الآثِمِينَ}(٥)

٤. قال تعالى: {قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ}(٦).

٥. قال تعالى:{ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً}(٧).

٦.قال تعالى: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً}(٨).

٧.قال تعالى: {وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً}(٩).

٨.قال تعالى: {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ}(١).

٩. قال تعالى:{قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً}(٢).

١٠. قال تعالى: {مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنظَرِينَ}(٣).

١١. قال تعالى: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ}(٤).

١٢. قال تعالى:{تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى}(٥).

١٣. قال تعالى:{فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ}(٦).

ثانيا: من السنة الموقوفة:

١. عن عمر(ﷺ) أنه سأل حذيفة بن اليمان(ﷺ) عن باب الفتنة قال: (أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ قال: يُكْسَرُ قال: إِذًا لَا يُغْلَقَ أَبَدًا)(٧).

٢. عن عائشة(ﷺ) في مرض موت النبي(ﷺ): (أنه غُشِيَ عليه فلما أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نحو سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قال: اللهم في الرَّفِيقِ الأعلى فقلت: إِذًا لَا يُجَاوِرُنَا)(٨).

المبحث الثالث

النص الصريح في التعليل

(أو الظاهر اصطلاحا)

وهو النوع الثاني من نوعي النص الصريح الذي يرد في الكتاب أو السنة بألفاظ تحتمل التعليل ، وتحتمل غيره ، وهي: (اللام ، الباء ، أنْ المخففة ، إنّ المشددة) ، وسأتناولها في أربعة مطالب أيضا.

المطلب الأول

التعليل باللام

قبل ذكر أمثلة هذا الحرف لابد من تبيين الفرق بينه وبين بقية اللامات ، إذ إنّ عدتها نحو من ثلاثين لاما(١) ، سأذكر منها ما يمكن أن يشتبه بلام التعليل ، مهملا ما كان داخلا منها في بعضه وهي:

١.لام الملك ، وضابطها: أنها المتصلة بالمالك لا بالمملوك ، كقوله تعالى: {لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}(٢).

٢.لام الاستحقاق ، وضابطها أنها تدخل على الأشياء التي تُستَحق ولا يقع عليها الملك ، كقوله تعالى:{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(٣). وبهذا تفترق عن لام الملك.

٣. لام الجحود ، وضابطها: أنها التي تأتي بعد كان المنفية كقوله تعالى:{ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}(٤).

٤. لام الابتداء ، وضابطها: أنها الداخلة على المبتدأ والخبر مؤكدة ومانعة ما قبلها من تخطيها إلى ما بعدها ، كقوله تعالى:{لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ}(٥).

٥. لام الأمر ، وضابطها: أنها يطلب بها فعل مستقبل من غائب ، كقوله تعالى:{لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ}(١).

٦. لام الضمير، كقوله تعالى:{ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}(٢).

٧. لام العاقبة ، كقوله تعالى:{ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً}(٣).

٨. لام التبيين ، وهي التي تبين الفرق بين المدعو له من المدعو عليه ، كقوله تعالى:{ فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ}(٤).

٩.اللام التي بمعنى إلى ، كقوله تعالى:{ وقالواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا}(٥).

١٠. لام الشرط ، كقوله تعالى:{ اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ}(٦).

١١. اللام التي تكون موصلة لبعض الأفعال إلى مفعوليها وقد يجوز حذفها ، كقوله تعالى:{ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}(٧).

١٢. لام كي ، أو لام المفعول من أجله ، وهي التي نحن بصددها ، التي تبين علة إيقاع الفعل ، وهي تدخل على الافعال المستقبلة كما سيتضح من خلال الأمثلة ، وهذه اللام تلتبس بلام العاقبة ، والفرق بينهما من وجهين:

الأول: أن لام العاقبة تكون في حق من يجهل عاقبة فعله كما جهل آل فرعون عاقبة التقاطهم لموسى().

الثاني: أو تكون في حق من يعلم العاقبة لكنه يعجز عن دفعها ، وبهذا نعلم أن لام العاقبة لا تكون في حق الله تعالى أبدا ، وإن اللام المقترنة بأحكامه سبحانه هي: لام الغاية والحكمة المطلوبة من الفعل(٨). وأمثلتها هي:

١. قال تعالى:{ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ}(١)

٢. قال تعالى:{جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلآئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }(٢).

٣. قال تعالى:{فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}(٣).

٤. قال تعالى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ}(٤).

٥. قال تعالى: {هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}(٥).

٦. قال تعالى: {أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ}(٦).

٧. قال تعالى: { لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ}(٧)

٨. قال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ}(٨).

٩. قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}(٩).

١٠.قال تعالى:{ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}(١٠).

١١. قال تعالى:{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}(١١).

١٢.قال تعالى:{وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً }(١).

١٣. قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}(٢).

١٤. قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}(٣).

ثانيا: من السنة:

١. قال رسول الله(ﷺ): (لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إلا أُرِيَ مَقْعَدَهُ من النَّارِ لو أَسَاءَ لِيَزْدَادَ شُكْرًا ولا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إلا أُرِيَ مَقْعَدَهُ من الْجَنَّةِ لو أَحْسَنَ لِيَكُونَ عليه حَسْرَةً)(٤).

٢. عن أبي مُوسَى(ﷺ) قال: جاء رَجُلٌ إلى النبي(ﷺ) فقال:(الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ في سَبِيلِ اللَّهِ قال: من قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ في سَبِيلِ اللَّهِ)(٥).

٣. عن بن عَبَّاسٍ(ﷺ) قال لَمَّا قَدِمَ النبي(ﷺ) لِعَامِهِ الذي اسْتَأْمَنَ قال: (ارْمُلُوا ، لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ قُوَّتَهُمْ)(٦).

٤. عن سهل(ﷺ) لما سأل النبي(ﷺ) البردة التي أهديت إليه قال: (إني والله ما سَأَلْتُهُ لألبسها إنما سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي)(٧).

المطلب الثاني

التعليل بالباء:

تأتي الباء في اللغة لمعان كثيرة ذكر صاحب مغني اللبيب أنها أربعة عشر معنى(١) سأذكرها مع التمثيل ، ثم أذكر للقارئ سبب كونها ظاهرة في التعليل وليست نصا فيه ، والمعاني هي:

١.الالصاق وهو المعنى الذي لا يفارقها ، وإنما تحمل على غيره من المعاني التي سأذكرها عند وجود القرينة ، ومعنى الالصاق:(تعليق الشيء بالشيء وايصاله به)(٢) كقوله تعالى: {وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ}(٣)، وقوله تعالى:{ يرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}(٤)، ونحوهما.

٢.التعدية ، وضابطها: (أنها القائمة مقام همزة النقل في إيصال الفعل اللازم إلى المفعول به)(٥) كقوله تعالى: {ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ}(٦)، أي أذهب الله نورهم ، وقوله تعالى: {وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ}(٧) ، ونحوهما.

٣.الاستعانة ، وضابطها: أنها تدخل على آلة الفعل كقوله تعالى: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ}(٨)، وقوله تعالى: {وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم}(٩)، ونحوهما.

٤.المصاحبة ، وهي التي تسمى باء الحال لصلاحية وقوع الحال بدلها ، وضابطها بالإضافة الى ما ذكرته صحة وقوع (مع) بدلها كقوله تعالى: {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا}(١)، وقوله تعالى: {وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ}(٢)، ونحوهما.

٥.الظرفية ، سواء كانت مكانية أو زمانية ، وضابطها: صحة وقوع (في) بدلها كقوله تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ}(٣)، وقوله تعالى:{إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ}(٤)، ونحوهما.

٦.البدلية ، وضابطها: صحة وقوع (بدل) في محلها ، وتلحق الشيء المتروك كقوله تعالى:{ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ}(٥)، وقوله تعالى:{ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ}(٦)، ونحوهما.

٧.المقابلة ، وضابطها: أنها تدخل على الأثمان كقوله تعالى: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ}(٧)، ونحوه.

٨.المجاوزة ، وضابطها صحة وقوع (عن) بدلها كقوله تعالى:{الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً}(٨) أي عنه ونحوه.

٩.الاستعلاء ، وضابطها صحة وقوع (على) بدلها كقوله تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ}(٩)، أي على قنطار.

١٠. التبعيض وليس له مثال مستقيم ، وقد أنكره ابن جني قائلا: (فأما ما يحكيه أصحاب الشافعي- رحمه الله -عنه من أن الباء للتبعيض فشيء لا يعرفه أصحابنا ولا ورد به ثبت)(١).

١١. القسَم كقوله تعالى: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}(٢)، ونحوه.

١٢. الغاية ، وضابطها صحة وقوع(إلى) بدلها كقوله تعالى:{ وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ}(٣)، أي أحسن إلي.

١٣. الزائدة للتوكيد ، وضابطها: أن تلحق الفاعل أو المفعول أو المبتدأ أو الخبر كقوله تعالى:{ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً}(٤)، وقوله تعالى:{ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}(٥)، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}(٦)، ونحوها.

١٤. السببية أو باء التعليل إذ لا فرق بينهما عند التحقيق ، قال صاحب كتاب الجنى الداني:(ولم يذكر الأكثرون باء التعليل ، استغناء بباء السببية ، لأن التعليل والسبب عندهم واحد ، ولذلك مثلوا باء السببية بهذه المُثل التي مثل بها ابن مالك للتعليل)(٧)، وضابط هذه الباء: أنها تدخل على سبب الفعل ، ويصلح اللام في موضعها كقوله تعالى:{ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}(٨)، وإن شئت فقل في ضابطها: صحة وقوع(سبب) في موضعها ، وسبب كون هذه الباء ظاهرة في التعليل هو اشتباهها بباء الاستعانة ، ولهذا أدرج ابن مالك-رحمه الله- باء الاستعانة فيها(١)، وقد ذكرت ضابط

الفرق بينهما آنفا ، وتشتبه أيضا بباء المقابلة عند المعتزلة والتي يمثلون لها بقوله تعالى:{ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}(٢)، إذ يعدون الجنة عوضا للأعمال الصالحة ، والصحيح أنها باء السبب لا باء العوض(٣) ، وقد ذكرت ضابط الفرق بينهما آنفا كذلك ، وهذا أوان ذكر أمثلتها:

أولا: من القرآن

١. قال تعالى:{وبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}(٤).

٢. قال تعالى:{وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}(٥).

٣. قال تعالى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ}(٦).

٤. قال تعالى: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً}(٧)

٥. قال تعالى:{فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}(٨).

٦. قال تعالى: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ}(٩).

٧. قال تعالى:{قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ}(١٠).

٨. قال تعالى: { هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ}(١).

٩. قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}(٢)

١٠. قال تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا}(٣)

ثانيا: من السنة:

١. عن عبد اللَّهِ بن مسعود() قال دَخَلْتُ على رسول اللَّهِ() وهو يُوعَكُ فقلت يا رَسُولَ اللَّهِ: (إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا قال أَجَلْ إني أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ قلت ذلك بأن لك أَجْرَيْنِ قال: أَجَلْ ذلك كَذَلِكَ)(٤).

٢. قال رسول الله() : (فلم تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ من قَبْلِنَا ذلك بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَطَيَّبَهَا لنا)(٥).

المطلب الثالث

التعليل بأنْ المخففة:

١. قال تعالى:{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ}(٦).

قال في التحرير والتنوير:(فكان قوله :(أنّ تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) تعليلاً لمجيء الرسول () إليهم ، ومتعلّقاً بفعل: (ما جَاءنا) ، ووجب تقدير لام التّعليل قبل (أنْ) وهو تقدير يقتضيه المعنى ، ومثل هذا التقدير كثير في حذف حرف الجرّ قبل (أنْ) حذفاً مطّرداً ، والمقام يعيّن الحرف المحذوف ؛ فالمحذوف هنا حرف اللام)(٧).

٢. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ}(٨).

٣. قال تعالى: {إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ}(١)

٤. قال تعالى: {وَاتَّبِعُواْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ ياحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ}(٢).

٥. قال تعالى: {أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ}(٣).

٦. قال تعالى:{أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ}(٤).

٧. { عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الأعْمَى}(٥).

ثانيا: من السنة:

١. عن عبدالله بن الزبير في قصة اختصام أبيه مع الأنصاري(ﷺ) أن رسول اللَّهِ(ﷺ) قال لِلزُّبَيْرِ(ﷺ): (اسق يا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلْ الْمَاءَ إلى جَارِكَ فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فقال: أَنْ كان بن عَمَّتِكَ)(٦).

قال صاحب فتح الباري: (قوله: أن كان بن عمتك بفتح همزة أن وهي للتعليل كأنه قال: حكمت له بالتقديم لأجل أنه ابن عمتك)(٧).

المطلب الرابع

التعليل بإنّ المشددة:

١. قال تعالى:{فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}(٨).

قال صاحب التحرير والتنوير: (وقوله :{إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله} استئناف مراد به التّعليل لجملة {حقت عليهم الضلالة} ، وهذا شأن (إنّ) إذا وقعت في صدر جملة عقب جملة أخرى أن تكون للرّبط والتّعليل)(٩).

٢. قال تعالى:{ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}(١).

٢. قال تعالى:{وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ }(٢).

٣. قال تعالى:{وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ}(٣).

٤. قال تعالى:{وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ}(٤).

٥. قال تعالى:{وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً{١٩} إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ}(٥).

٦. قال تعالى:{وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ}(٦).

٧. قال تعالى:{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ }(٧.

٨. قال تعالى:{إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ{٣٤} إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}(٨).

٩. قال تعالى:{أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ }(٩).

١٠. قال تعالى:{آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ }(١٠).

١١. قال تعالى:{وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى}(١١).

ثانيا من السنة:

١. قال رسول الله(ﷺ): (فَمَنْ صلى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فإنّ فِيهِمْ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ)(١).

٢. قال رسول اللَّهِ(ﷺ): (أربعوا على أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا)(٢).

٣. قال رسول اللَّهِ(ﷺ) في قصة الرجل الذي وقصته دابته: (اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ في ثَوْبَيْهِ ولا تَمَسُّوهُ بِطِيبٍ ولا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ فإنه يُبْعَثُ يوم الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا)(٣)

المبحث الرابع
النص غير الصريح في التعليل
(أو ما أومأ إلى التعليل)

المقصود بهذا النوع : مالا يتضمن حرفا يفيد العلية بوضع اللغة كما تقدم في المبحثين السابقين ، وإنما تستفاد العلية من لازم مدلول اللفظ(١) ، وضابط هذا المسلك : أن يقترن الحكم بوصف لو لم يكن هو او نظيره دالا على العلية لكان بعيدا عن الفصاحة ، معيبا عند العقلاء ، فحمله على التعليل أليق بالشرع وأنزه له(٢) ، ولما كانت دلالة التنبيه ناشئة من لازم اللفظ كانت(أفراد هذا النوع لا تدخل تحت الحصر لكون وجوه التنبيه لا تنضبط)(٣)، وعدم انضباط وجوه التنبيه على العلة عند الأصوليين شبيه بعدم انضباط

استنباط الأحكام بدلالة إشارة النص عند الفقهاء لكون الدلالة في كليهما التزامية ، وعليه فإنني سأقتصر على ما صرح النص فيه بالحكم والوصف معا لكونه إيماء إلى العلة بلا خلاف(٤) وهو على ثلاثة أضرب سأتناولها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

أن يرتب الحكم على الوصف بالفاء

أولا: من القرآن:

١. قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ}(١).

٢. قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ}(٢).

أي إن علة جواز الأكل كون الكلب معلما ، إذ الكلب الجاهل لا يؤكل ما أمسكه بالاتفاق.

٣. قال تعالى: {وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ}(٣).

٤. قال تعالى: {وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا}(٤).

٥. قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا}(٥).

٦. قال تعالى: {إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ}(٦).

٧. قال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ}(٧).

٨. قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً}(٨).

ثانيا: من السنة:

١. قال رسول الله(ﷺ): (من بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)(١).

٢. قال رسول اللَّهِ(ﷺ) : (إذا أتى أحدكم أَهْلَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ)(٢).

٣. قال رسول الله(ﷺ): (من أَكَلَ من هذه الشَّجَرَةِ يَعْنِي الثُّومَ فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا)(٣).

٤. وفي قصة التائب الذي قتل مئة نفس قال الملك: (قِيسُوا ما بين الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كان أَدْنَى فَهُوَ له)(٤).

٥. عن أَنَسٍ(ﷺ): (أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بين حَجَرَيْنِ قِيلَ: من فَعَلَ هذا بِكِ أَفُلَانٌ أَفُلَانٌ حتى سُمِّيَ الْيَهُودِيُّ فأومت بِرَأْسِهَا فَأُخِذَ الْيَهُودِيُّ فَاعْتَرَفَ فَأَمَرَ بِهِ النبي(ﷺ) فَرُضَّ رَأْسُهُ بين حَجَرَيْنِ)(٥)

٦. عن عائشة(ﷺ) في قصة إعتاق بريرة(ﷺ) قالت: وَعَتَقَتْ فَخَيَّرَهَا رسول اللَّهِ(6)(ﷺ).

المطلب الثاني

أن يرتب الحكم على الوصف بصيغة الجزاء

وفرق هذا المطلب عن سابقه: أن ما قبل الفاء هنا لا يكون إلا سببا ، وما بعدها لا يكون إلا حكما ، أما ترتب الحكم على الوصف بالفاء فهو يحتمل أن يكون حكما ويحتمل أن يكون علة(١) ، ومعناه أن الامثلة في المطلبين متشابهة:

أولا: من القرآن:

١. قال تعالى: { مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ}(٢).

٢. قال تعالى:{ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ}(٣).

٣. قال تعالى:{ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}(٤)

٤. قال تعالى:{ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً}(٥)

٥. قال تعالى: { مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا}(٦).

٦. قال تعالى: {إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيى}(٧).

٧. قال تعالى: {يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ}(٨).

٨. قال تعالى: {وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ}(٩).

٩. قال تعالى:{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً} (١٠).

ثانيا: من السنة:

١. قال رسول اللَّه(ﷺ) : (من اتَّخَذَ كَلْبًا إلا كَلْبَ مَاشِيَةٍ أو صَيْدٍ أو زَرْعٍ انْتَقَصَ من أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ)(١).

٢. قال رسول الله(ﷺ): (من قَتَلَ مُعَاهَدًا لم يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ)(٢).

٣. قال رسول الله(ﷺ): (من قُتِلَ في سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)(٣).

المطلب الثالث

أن يذكر الحكم مقرونا بوصف مناسب

أولا: من القرآن:

١. قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(٤). أي لإيمانهم وعملهم الصالح.

٢. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ}(٥).

٣. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً}(٦).

٤. قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}(٧).

٥. قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}(٨). أي لتقواهم.

٦. قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ}(٩).

٧. قال تعالى: {وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}(١٠). أي لفجورهم.

وأرى أن هذا المقدار من الأمثلة يحقق الاشباع الذي أردته ، والله تعالى أعلم.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة القصيرة في رياض الكتاب والسنة ، وكتب الأصول يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

١. النص كمسلك للتعليل ، أعم من النص في اصطلاح الأصوليين ، فهم يريدون به كل لفظ أفاد التعليل صراحة كان أو إيماء.

٢. النص الصريح يشمل عند الأصوليين ما أفاد القطع في التعليل ، وما احتمل التعليل احتمالا راجحا.

٣. النص المفيد للقطع في التعليل هو: ما تضمن حرفا أو اسما يفيد التعليل بوضع اللغة دون تأمل مثل(من أجل و كي ونحوهما).

٤. النص المحتمل للتعليل احتمالا راجحا هو : ما تضمن حرفا يفيد التعليل وغيره (كاللام التي تحتمل التعليل والعاقبة ، والباء التي تحتمل التعليل والإلصاق).

٥. عدّة اللامات في اللغة تزيد على الثلاثين ، وكثير منها يلتبس عمله بلام التعليل على غير المتخصص ، وأنواع الباء تزيد على العشرة وهي تلتبس بباء السبب أو العلة ، فلابد من اطلاع القارئ على محل اللبس منها ليحصل عنده التمييز بينها ، وهذا ما رجوناه من هذا البحث.

٦. النص المومئ للتعليل أو غير الصريح فيه يتضمن وجوها للتعليل لا يضبطها ضابط ، وليست محلا للوفاق بين العلماء ،

لكون التعليل مستفادا من لازم النص ، فهو نوع من أنواع الاشارة ، والمتفق عليه منها فقط هو ما ذكرته في المبحث الثالث.

٧. مقدار الأمثلة المضروبة لمسلك النص في كتب الأصول لا توصل القارئ إلى حد الاشباع الذي احسبه قد وصل إليه من خلال هذا البحث.

٨. قلة الأمثلة في كتب الأصوليين لا تدل على عجزهم ، وإنما على اشتغالهم بالتأصيل عن التمثيل ، وهو أمر يعرفه كل من درس الأصول على طريقة الجمهور أو المتكلمين ، فكان هذا البحث استدراكا وتتميما للفائدة التي يرجوها طالب علم الأصول ، والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثبت المصادر والمراجع

١. الإحكام في أصول الأحكام ، لعلي بن محمد الآمدي أبو الحسن ، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٤، الطبعة/ الأولى، تحقيق: د. سيد الجميلي.

٢. الإبهاج شرح المنهاج، لعلي بن عبد الكافي السبكي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٤، الطبعة/ الأولى، تحقيق: جماعة من العلماء.

٣. الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار النشر: دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب.

٤. إجابة السائل لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٨٦، الطبعة/ الأولى، تحقيق: القاضي حسين بن أحمد السياغي و الدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل.

٥. ارشاد الفحول ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر – بيروت – ١٤١٢ – ١٩٩٢، الطبعة/ الأولى، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب.

٦. الأفعال ، لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي ، عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، الطبعة/ الأولى.

٧. البحر المحيط في أصول الفقه ، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة/ الأولى ، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر.

٨. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي ، دار الفكر العربي ، الطبعة / الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م ، تحقيق : عبد الرحمن علي سليمان.

٩. التحبير شرح التحرير لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي ، مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ط/١، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح.

١٠. تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة: الأولى.

١١. التقرير والتحبير، لابن أمير الحاج. ، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

١٢. التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

١٣. الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي ، دار الكتب العلمية–بيروت– ١٩٩٢/١٤١٣ ، ط/١ ، تحقيق: د.فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل.

١٤. سر صناعة الاعراب ، لأبي الفتح عثمان ابن جني ، دار القلم – دمشق – ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، الطبعة/ الأولى، تحقيق: د . حسن هنداوي.

١٥. شرح الكوكب المنير، لابن النجار، مكتبة العبيكان ، الطبعة /الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ مـ ، تحقيق: محمد الزحيلي و نزيه حماد.

١٦. شرح مختصر الروضة ، لسليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة / الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

١٧. صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة/ الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

١٨.صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٩. فتح الباري لابن حجر، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٢١. قواعد الفقه ، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار النشر: الصدف ببلشرز – كراتشي – ١٤٠٧ – ١٩٨٦، الطبعة/ الأولى.

٢٢. اللامات ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، دار الفكر – دمشق – ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، الطبعة/ الثانية، تحقيق: مازن المبارك.

٢٣.المحصول ، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار النشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – ١٤٠٠، الطبعة/ الأولى، تحقيق: طه جابر فياض العلواني.
٢٤. المستصفى في علم الأصول لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٣، الطبعة/ الأولى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي.
٢٥. معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة/ الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
٢٦. مجموع الفتاوى لأحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، مكتبة ابن تيمية، الطبعة/ الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
٢٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري ، دار الفكر – دمشق – ١٩٨٥، الطبعة/ السادسة، تحقيق: د . مازن المبارك / محمد علي حمد الله.
٢٨. مدارج السالكين لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٩٣ – ١٩٧٣، الطبعة/ الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.
٢٩. همع الهوامع للسيوطي ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المكتبة التوفيقية – مصر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.